الوسط
Alwasat
يومية سياسية مستقلة
العدد 2827 الخميس 3 يونيو 2010 الموافق 20 جمادى الآخرة 1431 هـ
Thursday 3 June 2010, Issue No. 2827

فضاءات

البوسطة والعريض يحكّمان في جائزة الصباح

2

دلمون - باربار: الهوية الحضارية والتثقف من الخارج

4

المحروس: تأخذك الصور إلى قصة المجلسين بما يشبه التقرير السينمائي الحيّ

6

العدد 2827 الخميس 3 يونيو 2010 الموافق 20 جمادى الآخرة 1431هـ
Thursday 3 June 2010, Issue No. 2827
culture@alwasatnews.com

أثناء تدشين الكتاب في بيت البحرين للتصوير

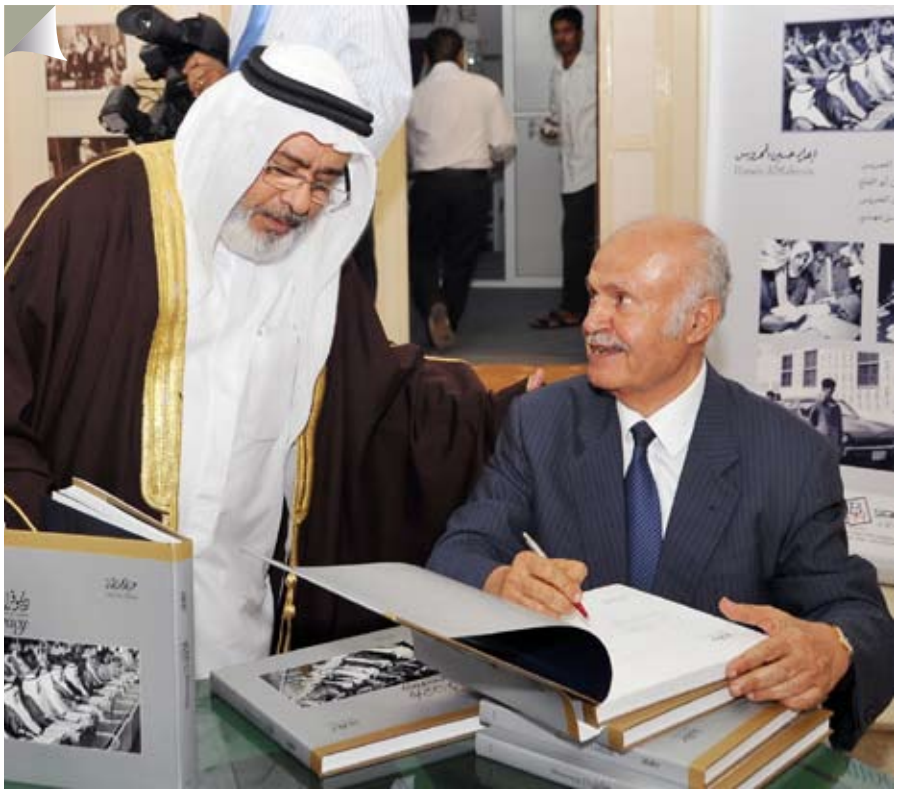

عبدالله الخان أثناء توقيع الكتاب وخليفة الظهراني

على هامش تدشين كتاب «ديمقراطية 73 الشعب في التجربة»

حسين المحروس: تأخذك الصور إلى قصة المجلسين بما يشبه التقرير السينمائي الحيّ

الوسط - حبيب حيدر

o «كنت أحتاج إلى: المضابط، اللقاءات الشخصية، الوثائق، الصحافة المحلية والخارجية، المجلات، لفهم هاتين التجربتين، أو على الأقل الاقتراب منهما، من صورهما الفوتوغرافية. كانت العملية شاقة للغاية. بدأت في النصف الثاني من العام 2008 ولم تنته إلا في مطلع 2010م. كان عدد الصور أكثر من 800 صورة التقطها عبدالله الخان في خمس جولات غير الافتتاحيات بثلاثة أنواع من الكاميرات ذكرت تفاصيلها في الكتاب. كلّها تحكي قصة المجلسين في أشكال مختلفة من العروض، ومن البيانات، والقصص والحكايات. الكتاب يأخذك إلى قصة نمو المجلسين بما يشبه التقرير السينمائي الحيّ» هذا ما صرح به المصور الفوتوغرافي حسين المحروس على هامش تدشين كتاب «ديمقراطية 73 الشعب في التجربة» في بيت البحرين للتصوير الضوئي بالاشتراك مع المصور الفوتوغرافي عبدالله الخان.

o حسين المحروس، هل لك أن تعرف قراء الوسط على كتابك (ديمقراطية 73 الشعب في التجربة)

- هذا السؤال طويل بطول المشروع كلّه. كنت أعمل في مشروع بصري آخر له علاقة بالعمارة. رحت أجمع المصطلحات والكتب القليلة جدا في هذا المجال. وهذه طريقتي عند كل مشروع، وقبل أن أفتح ورشتي على الصور وتفاصيلها، أفهم الجهة التي تنتمي إليها، عالمها، مجالها، طقسها، قبل الدخول في سياقات الصورة وزمنها والحدث فيها. في هذه المرحلة فطن صديقي عبدالله الخان هذا المصور الذي لن يتكرر هنا، فطن إلى أن المشروع سيكون طويلاً ولن ينتهي عاجلاً، فعاجلني بمشروع آخر. حدث بيني وبينه جدال حول الانتقال للمشروع الجديد فسألته وكنا عائدين من رحلة تصوير في أواخر العام 2008 لماذا كلّ هذه العجلة؟ فيقول: «حسين... أنا في سباق مع الزمن ولستُ مثلك... أنا أحارب الزمن كلّ يوم وأخشى أن يصرعني وفي بالي مشاريع كثيرة لم تتحقق بعد». ينتهي من هذه الجملة فيعمّ الصمت فترة. لا أظنني أفهم حربه تلك كما يفهمها. بعدها قال: عندي مشروع آخر لن يحتاج وقتاً طويلاً لكي تنجزه، لدي ملفات صور المجلسين التأسيسي والوطني بالأسود والأبيض... ما رأيك؟

- وهذا المشروع؟

- نؤجله، نجعله المشروع الثالث، ما رأيك؟

الصور بالأسود والأبيض وحدها مغرية، لا يملّ الناظر فيها. إنّها فعلاً تستحق أن توضع في كتاب يليق بها. اتفقنا على المشروع الجديد وتأجيل الآخر على الرغم من أهميته الفنيّة.

لقد ذكرت تفاصيل هذه القصة في مقدمة الكتاب. على كل حال لقد تمّ فتح الورشة: مضابط المجلسين التأسيسي والوطني... لابدّ من قراءتها كلها، كنتُ كمن يغالب المقارنة مع هذا المجلس الحالي، أعني تجربة 2002 البرلمانية حتى الآن، لا فائدة، إذّه أمر طبيعي ويحدث وليس من الصواب مقاومته فلا يمكن القيام بالفصل، ولا يمكن الذهاب إلى تلك التجربة وقراءتها بمعزل عن تجربة عشناها وبانت هشاشتها، وضعف - بالنسبة لي - كلّ شيء فيها.

الصور على الطاولة، لا يمكن فهمها أحيانا بالمضابط وحدها على الرغم من غناها. لابد من إجراء لقاءات مع مَنْ بقي من المجلسين. رحت أبحث عن الأحياء منهم: محمد حسن كمال الدين، علي فخرو، عبدالهادي خلف، محمد سلمان المحامي، وعلي ربيعة الذي طردني لما حاولت معرفة المزيد عما حدث في دور الانعقاد الثاني من الفصل التشريعي الأوّل. وهو الدور الأخير أيضاً فقد استقالت الحكومة في أغسطس/ آب 1975 بعد أن تغيبتْ عن حضور المجلس ثلاثة أسابيع بعد جدل طويل حول قانون تدابير أمن الدولة. ولا شيء في الدستور يوضح كيف يمكن التعامل مع موقف من هذا النوع. وفي يوم 26 أغسطس 1975 صدر عن المغفور له أمير البلاد بقصر الرفاع مرسوم رقم (14) لسنة 1975 يقضي بحلّ المجلس الوطني، كما صدر أمر أميري رقم (4) لسنة 1975 بتأجيل انتخابات المجلس إلى أن يصدر قانون جديد. لقد دخلت في صلب كتاب ربيعة القادم. رفض إعطائي المزيد فلجأت إلى الاستفزاز الذي نجح إلى حدّ ما. فلما تبين له قال «شكلك بتخرفني خراف؟ قوم قوم اطلع قووم. هههه» وضحكنا معا، حصلت على معلومات مهمّة.

حدثني علي فخرو بصياغات ومصطلحات وأسلوب مداخلاته في مضابط المجلسين. قال لي معلومات فتحت لي بعض إشكالات المضابط وخصوصا قضيتي الاختلاط وتوليد الرجال للنساء. كثفتهما في الكتاب مع تعليقات علي فخرو وبعض ما جاء في صحافة تلك الفترة. وهذا المصدر المهم الآخر الذي لجأت إليه الصحافة، الصحف والمجلات.

محمد سلمان حماد المحامي سرد عليّ قصة النزاع في حي النعيم بين المتدينين واليسارين وتفاصيل

كثيرة لا يحتملها الكتاب، كما حكى لي قصته مع رئيس المجلس الوطني حسن الجشي حول الشاي والبسكويت في استراحات المجلس، كرهت ذكرها في الكتاب. محمد حسن كمال الدين العليم بالمجلس التأسيسي وأعضائه وبعض مما حذف من تلك المضابط جلست معه ثلاث جلسات في بيته.

أحد الوزراء الذي كان عضواً في المجلسين وعدني بعد أن استلم نسخة مصغرة من الصور بسرد قصة لكلّ صورة، لكنه طبعاً لم يفعل وحين طالبت باسترجاع الصور التي على بعضها ملحوظاتي رفض حتى تسليمي نسخة أخرى من الصور. لقد تصرف بهذا الشكل.

لكن المفاجأة الأجمل لقائي بجاسم عبدالرحيم الحمراني وكيف عمل في تأسيس المكتب الأول المنوط به الإعداد لانتخابات الملجس التأسيسي المكلف بوضع دستور للبلاد. هنا عرفت التفاصيل الأولى لأهم حدث بعد الاستقلال. لقد حدثني عمّا لا يعرفه أحد عن إبراهيم العريض.

○ كيف بدأت حكايتك مع المصور الفوتوغرافي عبدالله الخان؟

- عبدالله الخان هذا الإنسان أكاد أجزم أحياناً أن لا أحد يعرفه. عفوية لا حدود لها، وهذا العصر لا يناسبها. استفاد من عمله في بابكو، ومن دراسته في انجلترا فصار منظماً حدّ الإحراج. لم أقو على مجاراته في كلّ هذا الترتيب والنظام قطّ. لم أقو على فهم حيويته أيضاً. رقيق مع القريبين منه، عطوف عليهم، مراقب لتصرفاتهم وخصوصاً ما اعوجّ منها. كثيرون لم يفهموه. ينام والكاميرا في يده. يحبّ كلّ جديد، ولم يتأخر كثيراً في قبول الانتقال من التصوير الفيلمي إلى التصوير الرقمي. قال لي مرّة «هذا سحر كبير، وإن التصوير الرقمي خدم البيئة خدمة غير عادية» ثمّ مضى في التفاصيل. كنت أكتب وأدون كلّ شيء يقوله لي عن التصوير. التفت مرة وكنا في شنغهاي وقال «لو أذّي دونت - مثلك - كلّ شيء لكان تاريخ التصوير في البحرين بكل تفاصيله هنا. فكيف تفعل أنت ذلك ولا تملّ؟»

في العام 2003 كنت في مكتب الصديق حسين علي في مبنى «مؤسسة الصقر» وذلك حسب موعد مبرم مع الخان لبدء تدوين سيرته كفصل مهم في مشروعي «سيرة الصورة الفوتوغرافية في البحرين» من العام 1887 حتى 2000 الذي أنجزت منه الكثير. دخل علينا المكتب وقال: «أنت حسين المحروس. أنا عبدالله الخان» وقبل ترحيبي به ومازلنا وقوفاً قال: «شوف أخوي حسين. أنا لا أحبّ أن يعرف أحد أذّي مصور فوتوغرافي. ولا أؤيد تدوين سيرتي في التصوير. ولا أريد أن يتعلم أحد من أولادي التصوير. وهذه الصور التي عندي سوف أحرقها، زين، زين؟ مع السلامة»

غادر المكتب وظللت واقفاً مدّة... لم أكن مهيأً لهكذا موقف. كان مزاجه في ذلك اليوم سيئًا للغاية، أضف إليه حساسية مبدع مثله. لكني لست الذي ينسحب من مشروع يعشق العمل فيه. أكره اليأس وأنهض في وجهه مراراً ولا أيأس في أن البطة يمكن أن تصبح حمامة في يوم ما... كفاءة المرء في نهضته في وجه اليأس. ظللت أتابعه وأترقب موعداً آخر فيه الكثير من التفاؤل. وكان. اقترحت في العام 2003 إقامة معرض فوتوغرافي للخان في مركز الفنون بترتيب من إدارة الثقافة والفنون أتولى أنا مسئوليته ومتابعته. وطبعاً هذا

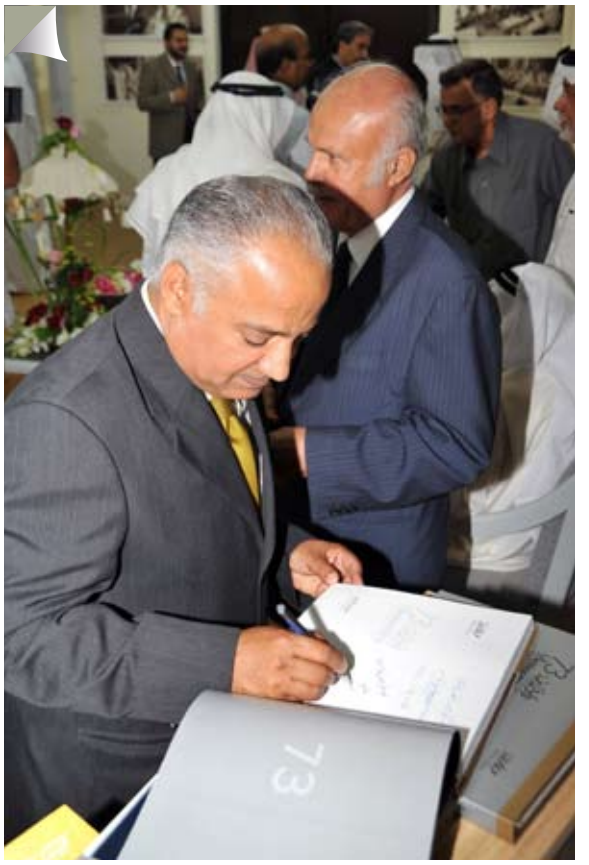

حسين المحروس وعبدالله الخان أثناء توقيع الكتاب

المعرض يحتاج كتابا تعريفياً بعبدالله الخان فكانت سيرته «عبدالله الخان... الضوء عيون» التي ترجمت لاحقاً إلى الإنجليزية من قبل فاطمة الحلواجي للنشر في كتاب منفرد لاحقاً يجمع المادتين. كنا نلتقي يومياً في مكتبي في إدارة الثقافة ندون ونسجل السيرة. في اليوم الأخير استخرج كاميرا صغيرة وصورني صورتين. من هنا توثقت علاقتي بالخان وبدأنا في مطلع العام 2005 العمل على أوّل المشاريع «المحرق... وردة البحر». أنا فخور بهذا الإنسان، وتجربته مع التصوير غير عادية. ملازمتي له أكسبتني الكثير. أنا محظوظ.

○ كيف كانت رحلتك مع الصورة وخصوصا أنها تمثل ذاكرة ربما تلاشى الكثير من تفاصيلها، وقد حاولت أن تقبض على ما تلاشى من المضابط بما تبقى في الذاكرة؟

- هذه حكاية طويلة يا صديقي. عندما تكون الصورة تاريخاً بهذا الحجم وتجربة بهذا الشكل عليك أن تتأنى كثيراً في النظر إليه، وتهتم حتى بشكل الأزياء فيها، وحركة الشخص، وسلوكه. لكن ليس بالضرورة أن تعينك الصورة على إيضاح حدث ما في التاريخ. الذين يتصورون ذلك ويعتقدونه موهومون. سوف تقرأ الكثير في الصور. فعندما تقرأ حكاية «توليد الرجال للنساء» التي أبلى فيها علي فخرو بلاء غير عادي وكان هو الفاعل الأكبر في إفشال سن قانون «منع الاختلاط» في الصحة والتربية الذي تقدمت به الكتلة الدينية. عندما تقرأ تفاصيل ذلك تتصور عناء فخرو ثمّ تنظر إلى صورته مهموماً شارداً يقلب ملفاته في المجلس تدرك ولو بشكل يسير أن القضية أخذته عن كلّ شيء. وعندما تنظر لرئيس المجلس الوطني حسن الجشي وهو يهوي بمطرقته منزعجاً سوف تأخذك هذه الصورة للشيخ إبراهيم بن سلمان آل خليفة وهو يزعج الرئيس ويسأل عن خلو مقعد عبدالهادي خلف منه ويطالب بوضع موضوع إسقاط عضويته للمناقشة فيصرخ الرئيس «ليس لدينا موضوع اسمه عبدالهادي خلف» وما حدث لاحقاً من جدل.

ما أردت أن أعنيه أنه عندما تعمل في مشروع من هذا النوع سوف يرميك النص على الصورة، وتخدعك صورة أخرى بمناسبتها لجدل ما في المجلسين. سوف تكون لعبة. وعليك الحذر والتقليل من الربط بينهما، والتواضع.

○ ما أهم الصعوبات التي واجهتكما في صناعة الكتاب؟

- فهم ما حدث في المجلسين وتجربتهما في سياقهما الزمني. غياب أرشيف بحريني منظم يمكن أن ترجع إليه. محاولة البحث عن المواقف والحكايات الإنسانية فيهما، وتقليل عنصر الملل والجفاف الذي قد يصيب القارئ. كنت أريده كتاباً لا نمطياً وليس مملاً. هذا بلا شك كان متعباً.

○ لكل زمان نصيبه من الصورة ولكل صورة حكايتها فما أهم الحكايات التي اختزلتها الصور في ديمقراطية 1973م؟

- لو رجعت إلى الكتاب ستجد حكايات لقضايا مهمة وضعتها في الكتاب. لكني لم أكتف بما في المضابط فأدخلت عليها من لقاءاتي الشخصية ما يمكن أن يوضح، أو يحلل، أو يرتق المحذوف. أزمة الغلاء، قانون الاختلاط، توليد النساء، تصويت المرأة، إسقاط عضوية عبدالهادي خلف وغيرها من ما وضعته في الكتاب.

○ لكل زمان طقوسه في الصورة ما الذي لفت نظرك في طقوس الصورة في ذلك الزمان؟

- ربما قلّة التمثيل والتصنع أمام الكاميرا... لم تكن الصورة آنذاك للتباهي الإعلامي الفض كما يحدث الآن. أغلب ممثلي الشعب الآن ممثلون.

○ «نقف مع الصورة بعيون زمننا» إلى أي مدى استطاع الكتاب أن يقف مع الصورة من خلال زمنها لا زمننا؟ (بأي عين رصدت صورة ذلك الزمن؟)

- هذا صعب جداً، قلت لك سابقاً صعوبة إيقاف المقارنة، ولو حاولت فعل ذلك لفشلت وأفسدت كلّ شيء.

○ «حين يستلب الواقع أحلام الناس وآمالهم تنكفئ الذات في العودة للماضي فتجتهد المخيلة الجمعية في البحرين بصنع صورة رومانسية عن تجربة ديمقراطية 1973م» إلى أي مدى تتطابق هذه المخيّلة الجمالية عن الزمن الجميل المتخيل مع الصور التي رصدها الكتاب؟

- لذا عندما قال لي عبدالله الخان ونحن نقلب الصور وفي باله تجربة برلمان العام 2002 وهو الذي أيضاً شهد تجربة73 بتفاصيلها ووثقها: «ليس في المجلس الوطني (برلمان 1973) طائفية. كان جميع النواب فيه باختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم وطنيين فقط ولا شيء غير ذلك، حسين، نريد أن نقول ذلك في هذا الكتاب» قلت له «طيب... دعنا نختبر ما تقوله بالنظر في التجربة».

ربما عندما تقارن بين التجربتين في مستويات مختلفة: الموضوعات والقضايا التي تقدم، طريقة عمل النواب في داخل المجلس وخارجه، سلوكيات النواب، عقولهم، حركتهم، النتائج التي تحققت ووو... سوف تكون تجربة 73 أسطورة. سوف تستصغر تجربة 2002 منذ بدئها حتى الآن.

○ ما مشروعك القادم في مجال الصورة؟

- مشروعان قادمان مع عبدالله الخان. وقد بدأت العمل فعلا فيهما، والله يعين، قد يصدر الأول نهاية العام الحالي والثاني في مايو 2011 وربما قبل ذلك بقليل.